

مستقبل العلاقات الإنسانية في ظل تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي: قراءة في مظاهر وتجليات "التواصل المرقمن".
The future of human relations in light of artificial intelligence technology: A reading of the manifestations and expressions of digital communication

بورحلة سليمان¹، عريبي عبد الحميد²

²جامعة د. مولاي الطاهر، سعيدة (الجزائر)، aribihamid92@yahoo.com

¹جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة (الجزائر)، s.bourahla@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/03 تاريخ القبول: 2026/09/26 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

تتطرق هذه الدراسة وتهدف إلى التعرف على مستقبل العلاقات الإنسانية المتمثلة أساساً في عمليات التواصل والتفاعل بين الأفراد والجماعات في ظل تطبيقات الذكاء الاصطناعي وخوارزمياته، فالاتصال كونه عملية ديناميكية معقدة تتطلب تفاعلاً وجهياً؛ قد عرّف ملامح جديدة نتيجة التوليفات التي طرأت عليه بسبب توغل الذكاء الاصطناعي في المنظومة التواصلية بين البشر.

فهذه المنظومة انصهرت داخل بوتقة الخوارزميات الذكية وقوة البيانات والتكنولوجيا الرقمية، التي بدورها خلقت بيئة جديدة للتواصل البشري وظهور ما يُسمى بالعلاقات الافتراضية الجديدة، ولكن لم يقف الباحثون عند هذا الحد، فقد عكف مُنظرو الاتصال وعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس العام والذكاء الاصطناعي على العمل على دراسات تأثير تطبيقات الذكاء الاصطناعي على الاتصال التقليدي في البيئة الرقمية الجديدة، وقد رصدوا بوادر خطيرة تلوح في مستقبل الإنسانية، وهذا ما جعلهم يطرحون عدة تساؤلات أبرزها؛ ما مصير مستقبل العلاقات الإنسانية في ظل تطبيقات الذكاء الاصطناعي؟

كلمات مفتاحية: العلاقات الإنسانية، الذكاء الاصطناعي، تجليات، تواصل مُرقمن.

Abstract:

This study addresses and aims to identify the future of human relations, mainly represented in the processes of communication and interaction between individuals and groups, in light of the applications of artificial intelligence and its algorithms. Communication, being a complex dynamic process that requires face-to-face interaction, has acquired new features as a result of the combinations that have occurred to it as a result of the penetration of artificial intelligence into the communication system between humans.

This system has been fused within the crucible of these algorithms, the power of data, and digital technology, which has created a new environment for human communication and the emergence of what is called new virtual relationships. But researchers in communication, social psychology, general psychology, and artificial intelligence have been working on studies of the impact of artificial intelligence applications on traditional

communication in the new digital environment, the most prominent of which is: What is the fate of the future of human relationships in light of artificial intelligence applications?

Keywords:

Human relations, artificial intelligence, Manifestations, Digital communication.

*المؤلف المرسل: بورحلة سليمان

1. مقدمة

إن المجتمعات الحديثة- نتيجة ديناميات التطور الخاصة بها- هي مجتمعات مُوجَّهة بصفة عامة نحو المستقبل، بمعنى أنها تُركِّز على التقدم، وبسبب ديناميات التطور هذه فإن هذه المجتمعات الحديثة تعتمد من أجل ضمان تواصلها على رؤية إيجابية وسلبية تتصل بالتنبؤ، التخطيط وبناء العلاقات الاجتماعية والثقافية المتبادلة، ولذا فإن (نيكلاس لومان وآخرين- Nicklas Luman and Others) أكدوا على نحو صحيح أن التواصل في المجتمعات الحديثة التي تعتمد على تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي بصفة خاصة؛ بين الماضي والمستقبل قد تحطَّم، بما أوجدَ نمطاً جديداً من التصورات عن مستقبل التواصل بين البشر المحفوف بالمخاطر.

وقياساً على رصدتهم حول هذا الموضوع، فإنَّ البشر حالياً يعيشون ذروة التطور التكنولوجي والثورة المعرفية التي بسطت هيمنتها على مختلف جوانب الحياة، بما في ذلك المجال السوسيوي- تواصل، والذي عرَّف تغيراً ملحوظاً بسبب الطفرات التقنية الحديثة التي تولدت عن خوارزميات الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته المختلفة القادرة على خلق مصفوفة تفاعلية داخل النسيج المجتمعي، تُسمِّم بمعالم وتوليفات اتصالية جديدة، وأصبحت ما تعرف بالتواصل المرقمن بين الأفراد.

في السنوات الأخيرة، أصبح فهم تفاعل التكنولوجيا الجديدة مع سلوكياتنا الاجتماعية والتواصلية أمراً أكثر أهمية، ويُؤدِّي الذكاء الاصطناعي دوراً هاماً في تغيير العلاقات البينية بسبب حدوث تغيرات في المنظومة التواصلية بيننا، حيث يُؤثِّر في طبيعة التفاعل المتبادل مع بعضنا البعض، كما أنَّ استخدام مواقع التواصل الاجتماعي التي تعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي يعكس تحولاً كبيراً في العلاقات الاجتماعية، وهو ما يستدعي دراسة تأثيرات هذه التغيرات على النفس البشرية.

بفهمنا لهذه الديناميكيات يمكننا تحليل كيفية تأثير الذكاء الاصطناعي على تصوراتنا الشخصية والاجتماعية نحو الآخر، وكيفية إعادة تشكيل عملية التواصل والتفاعل عبر المنصات الرقمية التي يُمكن أن تُؤدِّي إلى تعزيز الروابط بين الأفراد أو تُسهِّل في عملية تفتيتها، والسؤال هنا: ما هي أبرز ملامح التواصل الجديد بين الأفراد والجماعات في ظل تطبيقات الذكاء الاصطناعي؟

وللإجابة عن هذا الإشكال، نُعالج المحاور التالية:

✓ مفهوم الذكاء الاصطناعي.

✓ الذكاء الاصطناعي والعلاقات الاجتماعية.

✓ الذكاء الاصطناعي والتأثير على التواصل.

✓ ظهور تجليات التواصل الجديد (التواصل المرقمن).

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة النظرية- التحليلية إلى ما يلي:

1. التعرف على التحولات الجذرية التي خلقتها خوارزميات الذكاء الاصطناعي ضمن البيئة التواصلية بين الأفراد.

2. الوصول إلى تحليل مستقبل العلاقات الإنسانية في ظل تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

3. معرفة طبيعة التفاعلات الرمزية الجديدة داخل بوتقة الاتصال الذكي المرتبط بالآلة.

4. إبراز أهم ميزات التواصل الجديد داخل فضاءات الذكاء الاصطناعي.

2. مدخل مفاهيمي

1.2 مفهوم الذكاء الاصطناعي:

(The artificial intelligence)، أو بالمختصر (AI) يتكوّن الذكاء الاصطناعي من كلمتين: الذكاء "Intelligence" والاصطناعي "Artificial"، إنّ فكرة الذكاء الاصطناعي ليست وليدة العصر التقني الراهن، بهل هي مجموعة أفكار متراكمة تناولها مجموعة من الفلاسفة والأدباء عبر العصور، حيث تطرّق إليه الفيلسوف الفرنسي (Poul Valery) في بداية القرن السابع عشر بقوله: "كل إنسان هو في الحقيقة طول التحول ليصبح آلة، لا بل الأصح هو أنّ الآلة التي بصدد تطورها للتحول إلى إنسان"، فكانت هذه المقولة أول طرح فعلي لإشكالية مستقبل الآلة في تعايشها مع الإنسان، وسجّل هذا التساؤل أول طرح في مجال الذكاء الاصطناعي (الميري، د ط، 2024، صفحة 47)، ولكونه مجالاً متعدد الأقطاب، فقد تمّ تعريفه بأساليب متعددة، ووصّفه (John Markthey) الذي صاغ المصطلح عام 1955م، بأنه علم وهندسة صناعة الآلات الذكية، أمّا الباحث (O'Brien) يعرفه بأنه: "علم وتقنية مبنية على عدد من المجالات المعرفية مثل: علم الحاسبات الآلية، الرياضيات، الأحياء، الفلسفة والهندسة، والتي تستهدف تطوير وظائف الحاسبات الآلية لتحاكي الذكاء البشري، كما يُعرفه (Levin) وآخرون بأنه الطريقة التي يُصبح بها الحاسب مُفكرًا بذكاء (ساعي، د ط، 2024، صفحة 09) فالذكاء الاصطناعي هو أحد فروع علوم الحاسوب والذي يعمل بوتيرة تقنية جدّ متسارعة في معالجة المعلومات عبر الخوارزميات الذكية التي تُحاكي ذكاء البشر.

2.2 عناصره:

✓ التمثيل الرمزي (symbolic representation).

✓ الإيعازية (Heuristics)

✓ تمثيل المعرفة والحقائق (representing knowledge and facts).

✓ البيانات الضخمة (Big Data).

3.2 أهميته:

إنّ التقدم الكبير الذي يشهده العالم في مختلف المجالات يرجع الفضل فيه إلى أجهزة الحاسبات الذكية

(Smart computers)، فهي تؤدي دورًا متصاعدًا في الميادين الحساسة والحيوية للمجتمعات، نذكر منها:

مستقبل العلاقات الإنسانية في ظل تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي: قراءة في مظاهر وتجليات "التواصل المرقمن"

- (1) البحث العلمي والمجال التعليمي من خلال القيام بمهام التدريس ومعالجة البيانات بسرعة هائلة.
- (2) المجال الطبي من حيث التشخيص الدقيق للحالات المرضية المختلفة ووصف العلاج المناسب.
- (3) المجال العسكري من حيث اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب وإعداد الخطط الاستراتيجية وتنفيذها بدقة عالية.
- (4) المجال الاقتصادي والاجتماعي من حيث دراسة حالات المجتمع وطبيعة علاقاتهم المختلفة، وكذا التوصيف الدقيق لاحتياجات السكان والموارد وعمليات الإنتاج والإحلال محل العمال في الظروف الصعبة.
- (5) المجال الإعلامي والتواصلي من حيث دراسة مختلف الطفرات التي طرأت على العملية الاتصالية بين الأفراد والجماعات وإعادة تشكيل القيم الإنسانية ضمن النمط التواصلي الجديد.

3. الذكاء الاصطناعي ومستقبل العلاقات الاجتماعية

1.3 ظهور ديناميكية سوسيو- تواصلية جديدة:

في الوقت الحالي أصبح الذكاء الاصطناعي جزءاً مهماً في التفاعلات السوسيو- تواصلية، حيث يتم بناء علاقات بين الأفراد عبر منصات التعلم الآلي (Machine learning platforms) والتفاعل الافتراضي (virtual interaction)، وهذا ما خلق ديناميكية سوسيو- تواصلية جديدة، حيث تسهم تقنيات التعرف على الوجه وتحليل المشاعر في تجويد تجربة الفرد وتساعد في توطيد علاقاته التواصلية مع غيره أو تقليل جودتها، وفي دراسة بحثت تأثير هذه التقنيات على الفتيات المراهقات؛ أظهرت أن الأمهات لم يكن لديهن وعي كافٍ بالمخاطر المرتبطة بالفيروسات مثل (HPV)، مما يبرز أهمية التعليم الرقمي في تعزيز الوعي الصحي (وآخرون، 2022، صفحة 11)، هذا يبين أن خوارزميات الذكاء الاصطناعي يمكن أن تؤثر في كيفية تكوين المفاهيم أو إعادة تحويلها بتجاوز تقديم المعلومات فقط.

تعتبر القدرة على الكشف عن المشاعر من أبرز تقنيات الذكاء الاصطناعي، حيث يمكن أن تؤثر على كيفية تواصل الأفراد في أنساق اجتماعية مختلفة، وتستخدم التقنيات مثل: نماذج (هيدن ماركوف- Hidden Markov) لتحليل لغة وتعبيرات الوجه، مما يتيح لنا فهماً أعمق لحالات المشاعر لدى الأشخاص، في المقابل ينبغي أن يبقى هذا التفاعل متوازناً؛ فالدراسات تشير إلى أن التفاعلات الافتراضية يمكن أن تُعزز الانعزال الاجتماعي إذا تم استخدامها بشكلٍ مفرط أو غير مدروس، لذا يجب دراسة هذه الظاهرة بدقة لفهم كيفية تأثير خوارزميات الذكاء الاصطناعي على الروابط الاجتماعية، فالتأثير النفسي للذكاء الاصطناعي لا يشمل فقط الأفراد، بل يتعدى ذلك ليشمل المجتمع ككل ويسهم في بناء وتشكيل الثقافة والتقاليد عبر تقديم تجارب جديدة، وتعريف علاقات الإنسان بأسلوب مختلف، كما أن الصورة التقليدية للعلاقات الاجتماعية تتغير، حيث يمكن للذكاء الاصطناعي تعزيز التفاعل الاجتماعي بطرائق لم تكن معروفة من قبل، مثل: كشف التواصل بين ثقافات متعددة والربط بينها، تعزيز عمليات المثاقفة والتثاقف، هذه الطفرة تؤدي إلى خلق بيئة عالية التفاعلية، لكن هناك حاجة لفهم العواقب النفسية التي قد تنجم عن هذا التحول، ومعالجة هذه الديناميات المعقدة سيُمكننا من الاستفادة من فوائد الذكاء الاصطناعي دون المساس بالنواحي الإنسانية الأساسية (عبود و المندلاوي، ط1، 2024، الصفحات 24-25).

2.3 ديناميكيات التفاعل بين البشر والذكاء الاصطناعي:

تتفاعل الديناميكيات بين البشر والذكاء الاصطناعي بوتيرة هائلة في كل مجالات الحياة اليومية المختلفة، مما يظهر أثر تكنولوجيا البيانات على السلوك الاجتماعي، ونُشير هنا إلى أن أحد العوامل الأساسية التي تؤثر على هذه الديناميكيات هي طبيعة التفاعلات الناتجة عن علاقة الأفراد مع الأنظمة الذكية (Smart systems). فتَقَدُّم الذكاء الاصطناعي وخصوصًا في تطبيقاته الذكية المتعلقة بالاتصال الشخصي، يُساعد في تغيير نظرتنا نحو العلاقات البشرية، على سبيل المثال؛ استخدام الروبوتات في العملية التعليمية أو الرعاية الصحية يوضح لنا كيفية تمكنت فئات الذكاء الاصطناعي من تعزيز الروابط الاجتماعية، إذ يري البعض هذه الأنظمة على أنها أعضاء إضافية مشاركة في النسق الاجتماعي، ومع ذلك يُثير اعتماد الناس على هذه الأنظمة تساؤلات حول مدى ارتباطهم بأقرانهم البشر، وما إذا كانت هذه التفاعلات تُعزز أو تُقلل من الشعور بالانتماء وسط العلاقات الاجتماعية، وفي الوقت نفسه تُشير العديد من الدراسات إلى أن الاعتماد المفرط على الذكاء الاصطناعي في العملية التواصلية قد يؤدي إلى آثار سلبية على السلوك السوسيو-تواصلي، ف رؤية الذكاء الاصطناعي ككائنات قادرة على التجديد الفكري؛ يعني أننا قد نُغفل العوامل السياقية المؤثرة في السلوك الإنساني، لأن التحيزات الإدراكية يمكن أن تؤدي إلى تحليلات غير دقيقة من البشر، حيث يتم التركيز على الخصائص الشخصية دون التطرق إلى تأثير البيئة المحيطة الحاضرة.

هذا يُمكن أن يُعزز مخاوف فقدان السيطرة على العلاقات الإنسانية وصعوبة استبدال التجارب الحقيقية بالتفاعلات الافتراضية، مما يعكس أثر التكنولوجيا على التفكير والقرارات الاجتماعية، علاوة على ذلك ينبغي أن نأخذ في اعتبارنا العلاقة بين الذكاء الاصطناعي وتشكيل القيم الاجتماعية لدى الأفراد (عبود و المندلاوي، ط1، 2024، الصفحات 26-27).

4. تأثير الذكاء الاصطناعي على نمط التواصل:

تعتبر التكنولوجيا الحديثة، وبشكل خاص الذكاء الاصطناعي عنصراً مهماً في تغيير كيفية تواصل الناس في المجتمع، هذا التأثير يُظهر تغييراً في الطرائق التي تتفاعل بها، حيث تعتمد الأنظمة الذكية على تجويد تجربة الاتصال بين الأفراد، وإعطائها توليفة مميزة، في هذا السياق نلاحظ أن منصات التواصل الاجتماعي تُعزز التواصل بطريقة غير معهودة، مما يؤدي إلى ظهور أنماط حديثة من العلاقات الاجتماعية، رغم ذلك تُظهر دراسات حديثة خلال جائحة (كورونا- Covid19) تأثيراً عميقاً على الصحة النفسية بسبب الاعتماد المتزايد على هذه الوسائل للتواصل مما يُثير التساؤل حول كيفية تأثير هذه التكنولوجيا على قدرتنا على بناء علاقات متينة.

تقتضي البحوث والدراسات في هذا المجال فهم التأثيرات السيكلوجية والسوسيولوجية للتواصل الذكي، حيث تُقدِّم الشبكات الاجتماعية أفكاراً جديدة أثناء إعادة وتشكيل هويتنا الاجتماعية، وتُصبح المنصات الرقمية بيئات حاضنة للتفاعل المتعدد الأقطاب، ففي ضوء تقنيات التعلم أصبحت الأنظمة الذكية قادرة على تقديم محتوى معين للأفراد بناءً على ميولاتهم مما يُغيّر أسلوب تفاعلهم، هذا الأمر يطرح تساؤلات حول قدرة هذه الأنظمة على تعزيز التواصل الحقيقي الرصين، حيث يُمكن أن تؤدي الخوارزميات إلى عزلة غير مقصودة بسبب المحفزات التي تُعزز الأفكار المسبقة وتفتت البناءات الاجتماعية.

مستقبل العلاقات الإنسانية في ظل تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي: قراءة في مظاهر وتجليات "التواصل المرقمن"

من الضروري السعي لإجراء بحوث تُظهر كيفية تكيف الأفراد مع هذه التغيرات وتطوير استراتيجيات للتواصل في هذه البيئة الذكية الحديثة، ويبحث الكثيرون عن نماذج جديدة للتفاعل بعيدًا عن البيئة التواصلية التقليدية، مما يجعلهم يذوبون في قالب افتراضي مثل: ألعاب الفيديو، محاكاة الواقع المعزز والمنشآت على الإنترنت وغيرها، وكلما زاد الزمن الافتراضي الذي يقضيه الأشخاص في هذه البيئات زادت الحاجة لفهم كيفية تأثيرها على المنظومة القيمية والسلوكيات التواصلية في المجتمع، هذه القضايا تُبين الحاجة الماسة إلى بحوث إضافية تجمع بين التجربة الفردية مع الأبحاث الدقيقة لفهم التأثير المتبادل بين الأنظمة الذكية وأنماط التواصل لدينا.

1.4 العلاقات التكنو- اتصالية:

تُبرز الأنظمة التواصلية المبنية على خوارزميات الذكاء الاصطناعي تأثيراتٍ كبرى على العلاقات الاتصالية بين الأشخاص، وتُساعد هذه الأنظمة في تحسين العلاقات التواصلية من خلال توفير منصات تُسهّم في التفاعل الاجتماعي وتبادل الأفكار، كما يعمل الذكاء الاصطناعي على تخصيص المحتوى ما يجعل التفاعلات أكثر توافقًا مع احتياجات الأفراد المختلفة، ولأنها تعتمد على التحليلات السلوكية؛ تستطيع هذه الأنظمة التعرف على أنماط السلوك والتفضيلات مما يؤدي إلى تجارب تفاعلية أفضل، ومع ذلك يُثير الاعتماد المتزايد على هذه التقنيات القلق بشأن العلاقات الإنسانية الجديدة المرتبطة بخوارزميات الذكاء الاصطناعي، حيث يتم التركيز على (الأداء الرقمي-Digital performance) مما يُقلل من التفاعلات الشخصية ويجعل الناس يعتمدون أكثر على التكنولوجيا بدلًا من الثقة في الروابط الاجتماعية التقليدية.

تتوافق التأثيرات الوبائية للذكاء الاصطناعي مع التحديات الاجتماعية المعقدة، من جهة يمكن أن تُسهّم هذه الأنظمة في إنشاء مجتمع شبكي معقد عن طريق توافر موارد رقمية وتفاعل جديد، لكن من جهة أخرى قد تُظهر تأثيرات لها جوانب غير مرضية نتيجة الانعزال الحاد والخوف المتزايد من فقدان الفهم العميق بين البشر، ومع زيادة استخدام الشبكات الاجتماعية المدعومة بالذكاء الاصطناعي يصبح من الضروري التفكير في كيفية تحقيق التوازن بين هذه الابتكارات والحفاظ على الهوية الإنسانية والعلاقات الاجتماعية، ويمكن أن يؤدي هذا التحدي إلى إعادة النظر في مفاهيم الانتماء والمشاركة المدنية في المجتمع المعاصر، كما تُعتبر الشفافية والمساءلة من العوامل الأساسية التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند دراسة تأثير الذكاء الاصطناعي على العلاقات الاجتماعية، فمراعاة كيف تؤثر الأنظمة الذكية على إعادة تشكيل المنظومة التواصلية للمجتمع وقيمه قد يتطلب وضع سياسات تدعم استخدام هذه التكنولوجيا بنحوٍ مسؤول، وينبغي على المجتمعات التأكد من أن تبقى القيم الإنسانية في صميم تطوير التطبيقات الجديدة، كما ينبغي أن تُشجّع الممارسات الاجتماعية المسؤولة الأفراد على التفاعل مع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي بطرائق تُعزز الروابط الاجتماعية بدلًا من تأكلها، مما يتطلب وضع إطار عمل شامل يجمع بين التقدم التكنولوجي والحفاظ على الهوية الإنسانية (عبود و المندلاوي، ط1، 2024، الصفحات 34-35).

5. تجليات ظهور التواصل الجديد (التواصل المرقمن):

1.5 إعادة التفكير في الإنسان المرقمن (Digital human)

يَرَجِع أصل العديد من مشكلات العصر الحديث إلى عدم التوافق بين الزيادة المطردة في القدرة التقنية وقدرة البشر على تغيير البيئة الفيزيائية والسوسولوجية والانحدار المهول في معايير القيم الإنسانية، الأخلاق، الآداب العامة والحكمة، ونحن بحاجة ماسة إلى دمج الهوية الحقيقية في عالم الاتصال الجديد ولكن هذا الدمج يكون مبنياً على فهم عميق للوضع البشري الذي يتضمّن الممارسات البشرية المرتكزة على الثقافة وأنماط التواصل الأصلية التي بنى الإنسان من خلالها تاريخه الحضاري، وبالاعتماد على التقييم القائم على فهم متعدد التخصصات: وَضَعَ أساسه علماء الأعصاب والنفوس والمؤرخون والفلاسفة (وأخران، 2019، صفحة 96)، وحتى علماء الاتصال الإنساني والآلي، لأن هذا الإنسان المرقمن المُبحر في الفضاء الرقمي تتغيّر سمياته وأهدافه ونفسيته، وبالأحرى ذاته الكلية.

حيث "يَعْتَقِدُ المُبحر أنه يتحرك في الزمكان كما يُوهمه بذلك "الوجه الرقمي" ولكنه ليس في أي مكان في واقع الأمر، فعندما يُقَرَّر الإبحار ينفصل عن الزمن الحقيقي لكي يُلقَى بنفسه ضمن زمنية بلا حدود، هي في الواقع الأمر "لحظة عائمة"، لا تَسْتَقَرُّ على مضمون بعينه، لأنها مدعوة إلى التجسد في صورة تتغيّر مع كل "نقرة"، يُوهّمه الاتصال الشامل أنه مرتبط مع كل الناس ضداً على الحدود وحواجز اللغات والثقافات، والحال أنه يتحرك وحيداً داخل فضاء افتراضي مفصولاً عن العالم الواقعي، "نحن بالفعل جميعاً، ولكن بشكل انفرادي"، "إننا جميعاً ولكن قلوبنا شتى" (دوغان ولابي، ط1، 2020، الصفحات 12-13).

2.5 التغيرات في أنماط التواصل:

تُعتبر التغيرات في طرق وأنماط التواصل من المسائل المهمة التي يتمّ مواجهتها في مجتمعنا بسبب التأثير القوي لفقاعات الذكاء الاصطناعي الحاضنة لمنصات التواصل الاجتماعي، فقد أدت زيادة استخدام هذه المواقع الاجتماعية إلى إحداث طفرة جديدة في كيفية تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض، حيث أصبحت العلاقات الاجتماعية أقل استخداماً للتفاعل الوجهي (facial interaction) وأقرب منه للتواصل عبر شبكات الإنترنت، وتُساعد هذه الأدوات المجتمع على تبادل المشاعر والأحاسيس والأفكار بسرعة فائقة، لكن في الوقت نفسه يُمكن أن تتسبّب في تآكل القيم الاجتماعية الأصيلة وباتت تُشكّل هذه التغيرات تحدياً يتطلب أبحاثاً لفهم التأثيرات النفسية والاجتماعية على الأفراد (Sallam, 2023, p. 887)، وقد أكّد عديد الدارسون في هذا المجال أنّ وسائل التواصل الاجتماعي أدّت إلى مشكلات مثل القلق الاجتماعي (social anxiety) وزيادة التوتر النفسي بسبب الضغط الناتج عن الانغماس الدائم في الفضاء الرقمي، يظهر هذا بوضوح عند التفكير في كيفية استخدام الأفراد للتكنولوجيا الجديدة مثل: الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة، حيث تظهر بعض النتائج المتناقضة في استجابتهم للتحديات التي قد يواجهونها في العالم الرقمي، وتُعتبر هذه الديناميكيات جزءاً أساسياً من فهم تأثير التكنولوجيا على كيفية تواصل الناس مع بعضهم البعض (عبود و المندلاوي، ط1، 2024، الصفحات 30-31)

مستقبل العلاقات الإنسانية في ظل تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي: قراءة في مظاهر وتجليات "التواصل المرقمن"

3.5 الذكاء الاصطناعي وسيط التواصل:

تتطور تقنيات الذكاء الاصطناعي بسرعة فلكية هائلة، وهذا التطور السريع له تأثير مباشر وواضح على نمط تواصلنا وتفاعلنا، هذه التقنيات الكبيرة قادرة على تحليل كميات هائلة من البيانات (Data) مما يساعدها على تحليل وفهم سلوك الأفراد وتصرفاتهم، فالدراسات تُشير إلى أنّ الذكاء الاصطناعي له القدرة على المساعدة في اتخاذ قرارات ذات تأسيس معمّق ودقيق لفهم الأشخاص والسياقات الاجتماعية، وبالتالي يُحسّن من فعالية التواصل بين الجماعات والأفراد.

هذا التطور الهائل بدوره يُؤثر على كيفية تشكيل الهوية الاجتماعية والتفاعلات الرمزية اليومية، ويؤدي بالأشخاص نحو سلوك تواصل جديد وسهل نوعاً ما حسب الاستخدام المرتبط بالخوارزميات الذكية، من هنا يظهر الذكاء الاصطناعي كأداة لتحليل سلوكيات اجتماعية معقدة، وبالتالي يُقدّم رؤى جديدة في علم النفس الاجتماعي. أمّا في مجال التواصل؛ من المهم فهم التأثيرات النفسية والاجتماعية للذكاء الاصطناعي وانعكاسها على النمط التواصل للأفراد، فالأبحاث هنا تُشير إلى أنّ التعامل مع التكنولوجيا يُؤثر بشكل مباشر على الحالة النفسية، حيث يمكن أن تُحسّن من الصورة الذاتية أو تُؤثر سلباً على الصحة النفسية، هذه الديناميات تُسهم في فهم كيفية بناء العلاقات الاجتماعية الجديدة ودور الذكاء الاصطناعي في تعزيز أو تقليل الاتصال بين البشر وحصره داخل مصفوفة الوسائل الذكية.

على سبيل المثال؛ يمكن أن تساعد أنظمة الذكاء الاصطناعي في خلق روابط بين الأفراد عبر توفير تجارب تواصل دقيقة، لكنها أيضاً قد تولّد مشكلات مثل: الشعور بالوحدة، عدم الثقة، موت الشعور الإنساني وغيره، بيد أنّ فهم الذكاء الاصطناعي في سياق التواصل يتطلّب دراسةً للأثار الاجتماعية والنفسية الناتجة عن استخدامه، كما ينبغي أيضاً أخذ العوامل الثقافية والتكنولوجية بعين الاعتبار عند فهم كيفية استخدام الأفراد للذكاء الاصطناعي في حياتهم اليومية، وتبرز الصورة المعروضة تفاعل الشخص مع التكنولوجيا في بيئة مليئة بالبيانات، مما يُظهر تأثير هذه التقنية على حياة المستخدمين. عن طريق هذا التفاعل، ويُمكننا تعلم كيف يمكن لاستخدام الذكاء الاصطناعي أن يؤدي إلى تعزيز الاتصال البشري أو خلق عوائق جديدة في التواصل الاجتماعي (عبود و المندلاوي، ط1، 2024، الصفحات 31-32).

4.5 المخاوف السوسيو- ثقافية:

يرى بعض المتخصصين أنّ الذكاء الاصطناعي لن يُؤثر فقط على الجوانب الاقتصادية والأمنية والسياسية والعسكرية فقط، بل يمتدّ تأثيره على الجانب السوسيو- ثقافي نتيجة اتجاهات القائمين على صناعة وتوجيه خوارزمياته الذكية، ويتجلى هذا التأثير في التفاعل الاجتماعي (social interaction) وممارسات الحياة اليومية الروتينية، وسيظهر مجتمع بتجليات مغايرة تماماً للمجتمعات التقليدية، حيث يبدو المجتمع دون ابتسامة ومواساة، دون رحمة وبلا رافة إنسانية، ففي ظل المكننة والآلات ستفقد المجتمعات عمليات التفاعل الاجتماعي من صراع وتنافس وتوقعات من الآخرين والتعلم منهم (قفلي، 2023، صفحة 158).

بالإضافة إلى أنه ستختفي كل المفاهيم الإنسانية من ضمير الروح وثقافة التضامن والرحمة بين البشر لأن الآلات ستقوم بالعديد من الوظائف التي كان يقوم بها البشر (لحمر، 2021، صفحة 100)، كما أن الخطر الكبير هو أن ينسى الفرد القيم الإنسانية (الأمهات، الآباء، الأطفال، الأشقاء) ويبالغ الفرد في تقدير ما يُنتجه ويستبدله بالروبوتات التي صُممت على شكل إنسان باستخدام التكنولوجيا الحيوية.

كما ستظهر فئة من البشر متعلقين بالروبوتات الإلكترونية مثل: تعلق الأفراد بالحيوانات الأليفة التي يحاولون ملء مكان الأطفال والأزواج بها، مما سيؤدي إلى العزلة الاجتماعية وفقدان الانتماء الاجتماعي وضياح القيم المشتركة وانتهاء الحياة الاجتماعية وتغييب الاتصال المباشر بين الفرد وقرينه من البشر (قفلي، 2023، صفحة 163).

أصبح الذكاء الاصطناعي اليوم يُساهم بدرجة كبيرة في خلق بيئة تواصلية ذكية متعددة الأقطاب والاتجاهات، وأصبح يُنافس دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية لتربية النشء في أدوارها الاتصالية كالدور الاتصالي للمعلم في المدرسة، الدور الاتصالي للوالدين في الأسرة، دور الاتصال الدعوي للإمام في المسجد وغيرها من الأدوار الفاعلة في النشاط الاتصالي الذي يساهم في تماسك النسيج المجتمعي، بيد أن هذه الخوارزميات تفرض أنماطاً جديدة للتواصل بعيدة كل البعد عن القيم الإنسانية والأعراف القيمية المتينة، ومن الملاحظ أن هناك تقنيات تتلاعب بالصور والفيديوهات وإثارة الأحاسيس وتزييف الحقائق وخلق جو يتسم باللائقة بين الأفراد ضمن الشبكة التواصلية.

5.5 الصداقة الافتراضية (virtual friendship) والشعور بالوحدة:

الصداقة الافتراضية هي ظاهرة جديدة اهتم بها الكثير من الباحثين في علوم الاتصال وعلم النفس الاجتماعي، فالتواصل عبر المنصات الرقمية الاجتماعية يسمح للناس ببناء علاقات غير تقليدية، لكن هذا التواصل يمكن أن يؤدي أيضاً إلى إحساسٍ بالعزلة والوحدة، وتُبين الدراسات أن الأشخاص الذين يعتمدون كثيراً على الصداقات الافتراضية لا يهتمون بالاتصال الشخصي المباشر وقد يعانون من قلة التواصل الوجهي (face-to-face communication)، مما يؤدي إلى تشنج وضعف الروابط الاجتماعية الحقيقية التي تُعتبر مهمة للشعور بالانتماء، فوجود الأصدقاء الافتراضيين قد لا يُوفر دائماً الدعم العاطفي والاجتماعي الذي ينبثق من التفاعل البشري الذي يتسم بخصائصه المعروفة في أدبيات الاتصال وعلم النفس الاجتماعي.

عند دراسة تأثير الصداقة الافتراضية على الصحة النفسية، تظهر جملة من التحديات الكبيرة تؤدي بأعضاء البيئة التواصلية الرقمية إلى إنشاء هويات مزيفة أو مشوشة، وبعضهم يقوم بإنشاء هوية رقمية (Digital identity) تُعبر عن جوانب غير حقيقية من طابعهم الشخصي، مما يُعزز الفجوة بين الصورة الذاتية الحقيقية والافتراضية.

جدير بالذكر هنا، أن تقوية هذه الفجوة قد تُسبب القلق والإحساس بالوحدة، خاصة عندما لا تعكس العلاقات الافتراضية التجارب العاطفية التفاعلية العميقة، وينجم عن هذه الفجوة خلق شعور بعدم الارتباط أو عدم الفهم، وبالتالي يؤثر سلباً على الصلات الاجتماعية الحقيقية ويزيد من حدة الشعور بالوحدة.

مستقبل العلاقات الإنسانية في ظل تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي: قراءة في مظاهر وتجليات "التواصل المرقمن" في عصر الانفجار الرقمي الحالي، ينبغي التأكيد على أهمية التوازن بين الصداقات الافتراضية والواقعية، ومن الضروري تشجيع الأفراد على التواصل الشخصي لتعزيز الروابط الاجتماعية وتجويدها، وهذا يمكن أن يساعد في تقليل حدة الشعور بالعزلة النفسية، فالتفاعل الوجداني يُقدّم للأشخاص فرصة لتبادل المشاعر العاطفية بشكله العميق والواقعي، فالتفاعل الوجداني يُقدم للأشخاص فرصة لتبادل التجارب العاطفية بنحوٍ أعمق مما يُعزز الشعور بالانتماء ويُخفف العزلة، فهم هذا التوازن يُتبرأمرًا مهمًا في الدراسات المستقبلية التي تهدف إلى فحص تأثير التكنولوجيا على سلوكنا الاجتماعي ووضع استراتيجيات لتحسين الرفاه النفسي في عصر التواصل الرقمي (عبود و المندلاوي، ط 1، 2024، الصفحات 36-37).

6. خاتمة:

من خلال ما تم عرضه، نستنتج بأنّ الذكاء الاصطناعي هو تقنية فائقة التطور والتحول والتوليد الافتراضي الذي، والذي ساهم بشكل كبير في خلق طفرة جديدة على المنظومة التواصلية بين الجماعات والأفراد. فالاتصال كونه عملية اجتماعية مُعقّدة، تتطلّب التفاعل الوجداني؛ قد انصهر في قالب خوارزميات الذكاء الاصطناعي مما تولّد عن ذلك ظهور آليات تواصلية جديدة لم تتخلّ لها البشرية يومًا من قبل، وبالتالي فرمزية الاتصال وقُدسيته في كينونة الوجود البشري قد بدأت تتآكل شيئًا فشيئًا لتدوب بذلك في بوتقة عالم الذكاء الاصطناعي، مما ساعد في ظهور ما يُسمّى بالتواصل المرقمن أو التواصل الجديد، أو تواصل ما بعد الإنسان، هذا النوع اتّسم بخصائص مغايرة تمامًا للتواصل التقليدي، حيث عرّف توليفات جديدة تميّزت بطابعها السلبي، اختزال كل أشكال التعارف في الفضاء الرقمي، تراجع الاتصال الوجداني وبرودة العلاقات الإنسانية، وعليه تلاشت كل أنواع الأحاسيس والتفاعلات الرمزية الوجودية بين الأفراد والجماعات، وهذا ما يطرح عدة تساؤلات مستقبلية أبرزها: ما مصير ما بقي من تواصل رمزي تقليدي بين البشر في ظل تقنيات الذكاء الاصطناعي وأتمتة الحياة اليومية؟ وهل يُمكن القول بأن سلطة الاتصال الاجتماعية قد طُغت عليها خوارزميات الذكاء الاصطناعي وتكنولوجيا البيانات؟ توصيات واقتراحات:

من خلال هذه الدراسة ونتائجها، نعرض التوصيات التالية:

1. العمل على خلق التوازن بين الاتصال الشخصي والاتصال الجديد المرقمن، من خلال التكيف مع الحتمية الرقمية المرتبطة بخوارزميات الذكاء الاصطناعي.
2. تفعيل دور مؤسسات الضبط الاجتماعي (الإعلام، الأسرة، المسجد، المدرسة، الجامعة، ومؤسسات المجتمع المدني) لمراقبة استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي للعمل على تحييد سلبيات هذه التطبيقات والإبقاء على إيجابياتها.
3. التوعية المستمرة حول مخاطر خوارزميات الذكاء الاصطناعي وانعكاساتها النفسية على المستعملين، وذلك ببناء رسائل اتصالية ورموز هادفة موجهة لكافة الناس.

4. تعزيز البُعد الإنساني في البيئات الرقمية الحاضنة لعمليات الاتصال، من خلال توجيه خوارزميات الذكاء الاصطناعي بما يحافظ على القيم الإنسانية ك: التعاطف، الإحساس والتفاعل الوجداني، الاحترام المتبادل، المودة الصادقة.

5. ضرورة العمل على إعادة تأهيل مهارات الاتصال الشخصي لدى مستعملي الذكاء الاصطناعي، بتنمية آليات الحوار، حسن الاستماع، الذكاء الاجتماعي وغيره، لمواجهة الاعتماد المفرط على الآلات الذكية في التواصل.

7. قائمة المراجع:

- الميري، ع. (ا). د. ط، 2024. (المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي للنشر، ألمانيا، د ط، 2024، ص 47 . ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية.
- دوغان، م & ،لابي، ك). ط1، 2020. (الإنسان العاري الدكتاتورية الخفية للرقمنة، ترجمة: سعيد بنكراد. المغرب: المركز الثقافي للكتاب.
- ساعي، ع. م). د. ط، 2024. (الذكاء الاصطناعي: آفاقه وتطبيقاته في مجال الإدارة الحديثة. مصر: دار رسلان للطباعة والنشر.
- عبود، ز. ه & ،المندلأوي، ع). ط1، 2024. (علم النفس الاجتماعي للذكاء الاصطناعي: تأثير التكنولوجيا على سلوكنا الاجتماعي. العراق: دار السرد للنشر.
- قفلي، ح. (2023). الذكاء الاصطناعي والمجتمع ومستقبل الدين. المجلة العلمية لرئاسة الشؤون الدينية التركية، المجلد 05، العدد: 01.
- لحمر، ه. (2021). التحول إلى الذكاء الاصطناعي بين المخاوف والتطلعات: التجربة الإماراتية أنموذجًا. مجلة الاقتصاد والتنمية، المجلد 09، العدد: 02.
- وأخران، ت. ج. (2019). مشروع الإنسان المتطور: (Sapiens5.0) بيان لتطوير التعاون بين البشر والذكاء الاصطناعي من أجل خير البشرية في: في الدراسات المستقبلية. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- وأخرون، ح. ف. (2022). النموذج العقلي لأهميات الفتيات المرهقات ومقدمي الخدمات الصحية بشأن تطعيم فيروس الورم الحليبي البشري في المناطق الحضرية الفقيرة في دكا- بنغلاديش: دراسة مختلطة الأساليب. المعهد الآسيوي للأبحاث، المجلد 05، العدد: 04، مصر.
- الكتب بالأجنبية:

Sallam, M. (2023). Chatgpt Utility in healthcare Education Research and Practice: systematic review on the promising perspective and valid concerns. USA.